

الفصل التمهيدي

إقليم خوارزم جغرافيا وتاريخيا



أولاً: إقليم خوارزم جغرافيا



١ - التسمية في اللغة والاصطلاح:

أ - التسمية في اللغة:

خوارزم: أوله بين الضمة والفتحة^(١)، والألف مسترقة مختلسة، ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفظون به^(٢).

ب - التسمية في الاصطلاح:

أثناء الفتح العربي الإسلامي لإقليم خوارزم، كان يتكون من ثلاث مدن^(٣)، أحصنهم مدينة الفيل^(٤) يقول ابن خرداذبة^(٥): خوارزم اسمه فيل، وفيل حسب قول البيروني^(٦): فير «هذا الفير قلعة على طرف إقليم خوارزم مبنى من طين ولبن بعضه فوق

(١) ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، معجم البلدان قدم له محمد عبد الرحمن المرعشلي، ٤ مجلدات في ٨ أجزاء، ط ١، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٢، دائرة المعارف الإسلامية، عدة مجلدات، القاهرة، بدون، مج ٩، ص ٣، مادة خوارزم.

(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٣) ابن أعثم الكوفي: (أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي)، ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م، كتاب الفتوح، ٨ مجلدات، ط ١، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، بدون، مج ٧، ص ٢٣٦.

(٤) الطبري: (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري)، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ أجزاء، ط ٥، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج ٦، ص ٤٧٠.

(٥) (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله)، ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م، المسالك والممالك، ليدن، إبريل ١٨٨٩، ص ٢٣.

(٦) (أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي)، ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، بدون، ص ٣٥، بارتولد: (فلاديميروفتش بارتولد)، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، قسم التراث العربي، الكويت، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٢٥١.

بعض متوالى فى العلو، وأعلاه قصر الملوك، وكان بالوسع رؤية هذا الفير من مقدار عشرة أميال^(١) أو أكثر، فحطمه^(٢) نهر جيحون^(٣).

وورد فى مخطوطة محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمي^(٤) المتوفى ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م: «أن الإقليم الذى حطمه جيحون اسمه منصوره فرات»، والمنصورة هذه هى إقليم خوارزم القديم، وكان على شرقى جيحون^(٥).

ويقول ياقوت الحموى^(٦): كان إقليم خوارزم يقال له فيل قديما، ثم قيل له المنصورة، وكان فى شرقى نهر جيحون فغلب عليه وخربه.

(١) الميل: ثلاثة آلاف ذراع بذراع الملك والذراع ثلاثة أشبار والشبر ستة وثلاثون إصبعا والإصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض، وقيل الميل ألفا وثلاثمائة وثلاثون خطوة، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ج ١، ص ٣٩، الميل: ثلاثة أو أربعة آلاف ذراع، ناصر خسرو علوى القباذيانى: ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، سفر نامه، ترجمة د/ يحيى الخشاب، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٨١، وقيل الميل ثلاثة آلاف خطوة، والخطوة: ذراع ونصف. محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية، ط ١، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٥٧٨.

(٢) البيرونى: الآثار الباقية، ص ٢٥١، بارتولد: تركستان، ص ٢٥١.

(٣) نهر جيحون: كان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، أى إيران وتوران، فما كان فى شماله، أى ورائه من أقاليم، قد سماها العرب ما وراء النهر (وهو نهر جيحون) وكذلك سموها الهيتل، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية، بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ط ١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ص ٤٧٦ وهو نهر عظيم تتصل به أنهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى إقليم خوارزم، ويمر على مدنه وقراه، ولا ينتفع بهذا النهر من هذه البلاد التى يمر بها الأخوارزم؛ لأنه يستقبل عنها ثم ينحدر من خوارزم حتى ينصب فى بحيرة تعرف ببخيرة خوارزم، وهى بحيرة بينها وبين خوارزم ستة أيام وهو يجمد فى الشتاء حتى يصير الجمود نحو خمسة أشبار، فيحفر أهل خوارزم فيه آبارا، حتى يخرقوه إلى الماء الجارى، ثم يستقوا منه الماء لشربهم، وإذا اشتد جموده مروا عليه بالقوافل، ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق، ويعلوه التراب، ويبقى على ذلك شهرين، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ١٠١: ١٠٢، الأبيهي: (شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبيهي)، ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، المستطرف فى كل فن مستظرف، شرحه ووضع هوامشه د/ مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٤٠٨.

(٤) تاريخ خوارزمشاه، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٨٣ مجاميع، ميكروفيلم رقم ٥١٧٠، ورقه ٤.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٣٣٠.

(٦) معجم البلدان، مج ٣، ج ٦، ص ٤٥٣.

وفى زمن الأصبخري^(١): أن الإقليم الذى حطمه جيحون، كان يسمى بالخوازمية كاث، وهى قسبة خوارزم، ولما خربها النهر، بنى الناس من وراء المدينة، وقد قارب النهر القلعة، ويخاف على تهدمها، والمسجد الجامع على ظهر القلعة، ودار خوارزمشاه عند المسجد الجامع، والحبس عند القلعة.

وفى زمن ابن حوقل^(٢): أن كاث هذه خربها النهر وأتى على القلعة والجامع، فلم يبق منها رسم ولا ظل.

وفى وصف المقدسى لكاث^(٣): «أن كاث تسمى شهر ستانة، وأن لها جامع فى السوق، وأن القلعة خربها النهر». واسمها فى زمن ياقوت الحموى^(٤): «نوزكاث ومعناها بلغة الخوارزمية - الجديدة - وكأن معناها الحائط الجديد، فكأنهم قالوا كاث الجديدة».

وكان يحكم كاث، من نسل الأكاسرة، الشهيد أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عراق بن منصور ابن عبد الله بن تركسبائة بن شاشفر بن اسكجموك^(٥) بن أركاجوار بن سبرى بن سخر بن أرثموخ. وأرثموخ هذا كان الحاكم حين بعث الرسول ﷺ^(٦)، وظل أبى عبد الله يحكمها حتى عام ٣٨٥هـ / ٩٩٥م، عندما استخلها منه بعد أن قتله مأمون بن محمد حاكم كركانج^(٧)، كما يسميها أهل خوارزم، وهى بالضم ثم السكون وكاف أخرى وبعد الألف نون ساكنة يلتقى بها ساكنان، ثم جيم^(٨)، وكركانج اسم لمدينتين

(١) (ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري المعروف بالكرخي)، المتوفى فى النصف الأول من القرن الرابع، المسالك والممالك، تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحيني، راجعه محمد شفيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، الإدارة العامة للثقافة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص ١٦٨.

(٢) (أبى القاسم بن حوقل النصيبى)، ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، بدون، ص ٣٩٥.

(٣) (أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء البشارى)، ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د/ محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، ص ٢٢٩.

(٤) معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٤٠٧.

(٥) اسكجموك: عينة قتيبة بن مسلم حاكما على إقليم خوارزم، عندما فتحه للمرة الثانية بعد ارتداد أهله البيرونى: الآثار الباقية، ص ٣٥.

(٦) البيرونى: الآثار الباقية، ص ٣٥.

(٧) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله عن الفارسية وعلق عليه د./ محمد علاء الدين منصور، راجعه د/ السباعى محمد السباعى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٧٦.

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٣١.

بخوارزم، أحدهما كركانج الكبرى، والأخرى كركانج الصغرى، وبينهما عشرة أميال^(١) وكانت كركانج قصبة خوارزم الثانية إلى أن أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الإقليم^(٢)، وقد عربت وسماها العرب الجرجانية^(٣)، وجرجانية بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة^(٤).

ويكاد يجمع المؤرخون والجغرافيون: أن اسم خوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للإقليم^(٥). وقد ذكروا في سبب تسميته بهذا الاسم «أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمارات مائة فرسخ^(٦) فلم يجدوا على هذه الصفة إلا موضع مدينة كاث، وهى إحدى مدن خوارزم فجاءوا بهم إلى هذا الموضع، وتركوهم وذهبوا، فلما كان بعد مدة جرى ذكرهم على بال الملك، فأمر قوماً بكشف خبرهم، فجاءوا فوجدوهم قد بنوا أكواخاً ووجدوهم يصطادون السمك، وبه يتقوتون وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم كيف حالكم، فقالوا عندنا هذا اللحم، وأشار إلى السمك وعندنا هذا الحطب، فنحن نشوى هذا بهذا ونتقوت به، فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمى ذلك الموضع «خوارزم» لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار والحطب رزم^(٧) فصار خوارزم، فخفف وقيل خوارزم استثقلاً لتكرار الراء^(٨).

(١) أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر)، ت ٧٣٢هـ/١٣٣م، تقويم البلدان، صححه وطبعة رينود، مال كوكين ديسلان، طبعة: باريس، ١٨٤٠م ص ٤٧٩.

(٢) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩١.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٧، ص ١٣١، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٧٩، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩١.

(٤) ابن خلكان: (أبى العباسى شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر)، ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/إحسان عباس، ٨ مجلدات، دار صادر، بيروت، مج ٥، ص ١٧٤.

(٥) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض ص ٣٩٥.

(٦) الفرسخ: فقد اختلفت فيه الآراء. فقال قوم هو فارسى وأصله فرسنگ. وقال اللغويون الفرسخ عربى محض، وقيل الفرسخ أثنى عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة، وهى ستمائة ذراع عادية. وقال قوم الفرسخ سبعة آلاف خطوة، أى أن الفرسخ ثلاثة أميال ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ج ١، ص ٣٩، الفرسخ: (فرسنگ)، وهو تسعة آلاف ذراع بذراع القدماء وأثنى عشر ألفاً بذراع المحدثين، ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٨١.

(٧) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٨، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٣، ٢٥٢، القزوينى: (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، دار صادر - بيروت، لبنان، بدون، ص ٥٢٠.

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٣.

وبذلك فقد أطلق على إقليم خوارزم، عدة أسماء، فيل والمنصورة، وكاث ثم الجرجانية، ولكن الاسم الشائع والغالب هو خوارزم، فأصبح يطلق على الإقليم كله.

٢ - الموقع والحدود

يجمع المؤرخون والجغرافيون: على أن إقليم خوارزم منقطع عن خراسان^(١)، وعن ما وراء النهر^(٢)، وتحيط به المفاوز^(٣) من كل جانب يحيط به من الشرق نهر جيحون، الذى يفصله عن ما وراء النهر^(٤)، أما غرب خوارزم فيحيط به بعض بلاد الترك^(٥)، وفى الجنوب يحيط به بلاد الترك الذى تفصله عن خراسان، أما فى الشمال فيحيط به بحيرة خوارزم التى تفصله عن بلاد الترك^(٦).

أى أن إقليم خوارزم يشقه نهر جيحون إلى نصفين، نصف يقع فى خراسان، ونصفه الآخر فى بلاد التركستان^(٧) أو آسيا الوسطى^(٨).

(١) خراسان: معناها فى اللغة الفارسية القديمة «أرض الشرق» السلمي (أبى عبد الرحمن السلمى)، ت ٤١٢هـ / ١٠٢١م، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١٣ وخراسان بلاد واسعة، ومن الناس من يدخل أعمال ومدن خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر وليس الأمر كذلك. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢١٨، وما بعدها، مادة خراسان ولزید من التفاصيل راجع المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤ - ٢٥١، القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٦١، ٣٦٣.

(٢) ما وراء النهر: ناحية عريضة وأعمال واسعة ومدن كثيرة، وهى آخر جيحون وليس بعدها على النهر عمارة حتى يقع ما وراء النهر فى بحيرة خوارزم. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، الحميرى: (محمد بن عبد المنعم الحميرى)، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، ط ٢، مطبعة هيرلبرغ، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٢٥.

(٣) المفاوز: هى صحراء قليلة العمارة والسكان والمدن والقرى، ويكثر بها اللصوص، كما أنها ليست فى حيز إقليم بعينه، فیراعاها هذا الإقليم بالحفظ، كما يصعب سلوكها بالخیل، وإنما تقطع بالإبل، الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٣٣، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٤٠، لمزيد من التفاصيل راجع المقدسى أحسن التقاسيم، ص ٣٦٨.

(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الخريطة (١٠)، مقابل ص ٤٨٩.

(٥) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٧.

(٦) أبو الفدا: نفسه، ص ٤٧٧، لسترنج: نفسه، الخريطة (١٠).

(٧) تركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك. القزوينى: آثار البلاد، ص ٥١٤، ٥١٨.

(٨) آسيا الوسطى: هى بلاد التركستان أو بلاد ما وراء النهر، وهى شبه منحرف من الجنوب جبال الهملايا ومن الجنوب الغربى هضبة البامير، ومن الغرب جبال تيان شان، ومن الشمال جبال الألتاي وبابلوزى، وستانوفوى، ومن الشرق جبال كنجان وكوكونور، وتبلغ مساحتها المحصورة بين هذه الحدود إلى ٦ مليون كم^٢، وهى فى مجموعها سلسلة من الجبال والهضاب الجعدة والمنخفضات، وكان العنصر التركى والمغولى والصينى أهم عناصر سكانها. انظر بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، مكتبة الأنجلو=

ومن هذا الموقع الجغرافى يتضح أن إقليم خوارزم يقع على جانبى جيحون^(١)، وكانت قصبته العظمى فى الجانب الشرقى لخوارزم، الجنوبي من جيحون مدينة الجرجانية^(٢).

وقد استخدم الجغرافيون المفاوز المحيطة بإقليم خوارزم لتحديده، وأن أول حدود خوارزم من ناحية ما وراء النهر فى الشرق نوكفاغ^(٣)، وكانت وسط الأنهار وتقع جنوب كاث^(٤)، أما الجرجانية هى حد خوارزم من الغرب، وهى غرب جيحون^(٥).

وقد عدد الأصطخرى مدن وقرى كاث خوارزم حتى وصل إلى قرية براتكين شمال خوارزم^(٦) أما فى الجنوب فأول حدود خوارزم من ناحية خراسان بعد أمل^(٧)، يسمى الطاهرية^(٨)، على أنه فى القرن الحادى عشر الميلادى، الخامس الهجرى - بداية العصر السلجوقى - كانت درغان تعتبر أبعد مدن خوارزم من هذه الناحية^(٩) حيث يقول ياقوت الحموى^(١٠) «درغان أول حدود خوارزم من ناحية أعلى جيحون دون أمل وبينها وبين جيحون مزارع وبساتين لأهلها».

٣ - المساحة:

ليس من السهل تحديد مساحة إقليم خوارزم، نظرا لاختلاف المؤرخين والجغرافيين فى تحديد مساحته.

-
- =المصرية، سنة ١٩٥٨م، ص ١ - ٥، محمد عبد العظيم: مراكز التجارة فى آسيا الوسطى، بحث نشر ضمن ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (١) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٧.
- (٢) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوثل: صورة الأرض، ص ٣٩٥.
- (٣) نوكفاغ: من مدن كاث المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، وورد ذكرها نوكباغ عند بارتولد: توكسان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى، ص ٢٥٧.
- (٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، الخريطة (١٠)، مقابل ص ٤٨٩.
- (٥) ابن رسته: الأعلام النفسية، ص ٩١، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩.
- (٦) الاصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ١٦٩، ابن حوثل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، ٣٩٧.
- (٧) أمل: مدينة من مدن خراسان تقع على شط جيحون، وبها مياه جارية وبساتين وزروع ومنها طريق خراسان إلى ما وراء النهر وخوارزم ابن حوثل: صورة الأرض، ص ٣٧٦.
- (٨) ابن حوثل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٦، ص ٢٧٥.
- (٩) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٢٤٨.
- (١٠) معجم البلدان: مج ٢، ج ٤، ص ٢٩٧.

فقد قيل أن إقليم خوارزم طوله مائة وسبع عشر درجة وثلاثون دقيقة^(١) وعرضها خمس وأربعون درجة، وقيل أن خوارزم طوله إحدى وتسعون درجة وخمسون دقيقة وعرضه أربع وأربعون درجة وعشر دقائق^(٢).

ويقول أبو الفدا^(٣): إن طول خوارزم أربع وثمانون وخمس دقائق والعرض اثنتان وأربعون وخمس درجة وأربعون دقيقة، وأن بحيرة خوارزم من حيث الطول ثمان وثمانون وقيل تسعون، أما العرض ثلاث وأربعون. أما الاصطخرى^(٤) فيقول «إن دور بحيرة خوارزم فيما يلغى فإنه فرسخ، على ما يتواطأ عليه أهل الخبرة.

إن هذا الاختلاف في الطول والعرض سببه أن الرحالة نقلوا من الكتب القديمة. وهى غير متفقة وفى ذلك يقول أبو الفدا^(٥): أنه نقل من مجموعة من الكتب وهى غير متفقة فحدث الاختلاف فى الأطوال والعروض.

ومن هذا الاختلاف أيضاً ما قاله القلقشندي^(٦): إن طول الجرجانية أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة.

ويقول الحميرى^(٧): أن الجرجانية هى المدينة الكبرى والقاعدة العظمى وهى كبيرة عامرة طولها تسعة أميال فى مثلها.

٤ - المناخ؛

يجمع المؤرخون والجغرافيون على أن إقليم خوارزم من أبرد الأقاليم الإسلامية فى خراسان وما وراء النهر خاصة فى الشتاء. وفى ذلك يقول الاصطخرى^(٨): أبرد ما على

(١) الدرجة والدقيقة: «تستخدم فى تحديد الطول والعرض، وقيل أن الدرجة هى قدر ما تقطعه الشمس فى يوم وليلة من الفلك وفى مساحة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً، وتنقسم الدرجة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية والثانية إلى ثلاثة وترقى كذلك» ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ج ١، ص ٤١.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٢.

(٣) تقويم البلدان: ص ٦١، القلقشندي: (أبى العباس أحمد بن على القلقشندي)، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م، صبح الأعشى فى صنعة الإنشاء عده أجزاء، مطابع كرساتسو ماس وشركاه، القاهرة، بدون، ج ٤ - ص ٤٥٥.

(٤) المسالك والممالك، ص ١٧٠.

(٥) تقويم البلدان، ص ٧٤.

(٦) صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٥٥.

(٧) الروضى المعطار، ص ١٦٢.

(٨) المسالك والممالك: ص ١٧٠، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٧.

جيحون من البقاع خوارزم، وعلى شط بحيرة خوارزم جبل جغراغز يجمد عنده الماء حتى يبقى إلى الصيف، ويؤكد على ذلك ياقوت الحموى بقوله^(١): «والشتاء عندهم شديد جدا وعندما زار خوارزم سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م، يقرر ذلك فيقول^(٢) «وقد كنت اجتهد أن أكتب شيئا بها فما كان يمكنني لجمود الدواة حتى أقربها من النار وأذيبها وكنت إذا وضعت الشربة على شفتي التصقت لجمودها على شفتي، ومع هذا فهي لعمري بلاد طيبة».

والغريب أن الإنسان إذا خرج من بيته أول النهار مكشوف الوجه يضرب البرد وجهه فيسقط أنفه. وأما آل خوارزم فقد عرفوا ذلك فلا يخرجون إلا مستورى الوجه^(٣) وفي هذا يقول ابن خلكان^(٤): «والثلج والبرد كثيراً ما يؤثر على الأطراف في تلك البلاد فتسقط أطرافهم، خصوصا إقليم خوارزم، فإنه في غاية البرد، ولقد شاهدت خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بهذا السبب».

هذا المناخ الشديد الصعوبة وخاصة في الشتاء يتسبب في جمود نهر جيحون، ولكن ذلك لم يمنع أهل خوارزم من الحركة والعمل حيث تعبر عليه القوافل التجارية ذهابا وإيابا^(٥).

٥ - السكان:

كان أغلب سكان ما وراء النهر وخوارزم من الإيرانيين والفرس والآثراك^(٦)، وفي عصر السلاجقة الآثراك^(٧)، وعلى الرغم من أن الحكومة كانت كلها في الغالب بأيدي الترك إلا أن السكان الترك المستقرين هناك كانوا على قلة عددية نسبية^(٨)، وعندما بدأت

(١) معجم البلدان: مج ٣، ص ٢، ص ٢٥٣، القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢١.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٢ - ص ٢٥٥.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢١.

(٤) وفيات الأعيان: مج ٥، ص ١٦٩.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٢، ص ١٠٢.

(٦) فامبرى: (أرمينوس فامبرى)، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة د/ أحمد محمود الساداتى، راجعه د. يحيى الخشاب، بدون، ص ٧٨.

(٧) الحسيني: زبدة التواريخ، ص ٢٣: ٢٤، القرماني: (أبى العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي)، ت ١٠١٩هـ / ١٦١٠م، عالم الكتب، بدون، توزيع مكتبة المثنى، القاهرة، مكتبة سعد الدين، دمشق، سورية، ص ٣٧٠.

(٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٥.

شمس السلاجقة التركية فى الغروب، وظهور الدولة الخوارزمية التركية الأصل تغلغت العناصر التركية فى جوف الدولة الإسلامية بصفة عامة^(١).

ويؤكد ذلك بقول ياقوت الحموى^(٢) عندما زار خوارزم ٦١٦هـ / ١٢١٩م وفى جوههم أثر الترك، وفى طباعهم أخلاق الترك وفيهم جلد وقوة.

أما الصفات الجسمانية للخوارزميين فكانت واضحة فهم يمتازون بالطول والضخامة، وفى رؤوسهم عرض ولهم جبهات واسعة^(٣).

أما الصفات النفسية فكانت تدل على أنهم أهل قوة وبأس ومروءة ويسار ومحبة، ويؤكد ذلك الأصبخري بقوله «وفى خواص أهلها يسار وقيام على أنفسهم بالمروءة الظاهرة، وهم أكثر أهل خراسان انتشارا أو سفرا، فليس بخراسان مدينة كبيرة إلا وبها من أهل خوارزم جمع كثير، ولهم بأس على الأتراك ومنعه^(٤).

كما أن أهلها ترونوا على ضيق العيش والقناعة بالشئ اليسير، على أن فيهم أغنياء مترفين، إلا أن عيش أغنيائهم قريب من عيش فقرائهم من سعة المنفعة^(٥).

أما صفاتهم الدينية والعلمية فكانت تدل على أنهم أهل دين وعلم ويؤكد ذلك ياقوت عندما زار خوارزم ٦١٦هـ / ١٢١٩م فيقول^(٦) «وما أظن أنه فى الدنيا لإقليم خوارزم نظير فى . . . ملازمة أسباب الشرائع والدين» وأهل الجرجانية كلهم معتزلة^(٧).

(١) حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربى، القاهرة، بدون، ص ٢٥.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٤) الأصبخري: المسالك والممالك، ص ١٧٠، ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٩٧: ٣٩٨.

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٢، ص ٢٥٣.

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٧) المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، العدل على مذهب السنة أن الله تعالى عدل فى أفعاله، بمعنى أنه متصرف فى ملكه وملكه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فالعدل: وضع الشئ موضعه، وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم، والظلم بضده، فلا يتصور منه جور فى الحكم وظلم فى التصرف وعلى مذهب أهل الاعتزال: العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة. أما التوحيد: فقال أهل السنة، وجميع الصنفات: أن الله تعالى واحد فى ذاته لا قسيم له، وواحد فى صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد فى أفعاله لا شريك له. فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له فى أفعاله ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد عندهم: الشهرستاني: (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني)، ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، تحقيق د/ محمد سيد كيلانى، جزءان فى مجلد واحد، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ج ١، ص ٤٢.

والغالب عليهم ممارسة علم الكلام حتى فى الأسواق والدروب يناظرون فى أمور الدين من غير تعصب بارد، وإذا رأوا من أحد التعصب أنكروا عليه كلهم وقالوا: ليس لك إلا الغلبة بالحجة، وإياك وفعل الجهال^(١).

كانت الجرجانية عاصمة خوارزم صورة واضحة لكل مدن هذا الإقليم فى هذا المذهب الخنفى المعتزلى ما عدا مدينة خيوق، فأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية^(٢).

٦ - الأهمية الاستراتيجية لإقليم خوارزم:

من التحديد الجغرافى السابق يتضح أن إقليم خوارزم يتمتع بموقع استراتيجى هام، حيث احترف الخوارزميون كثيرا من المهن كالتجارة والزراعة والرعى والصناعة.

لقد اهتم الخوارزميون بالزراعة فأكثروا من زراعة الأشجار وبخاصة شجر التوت لاحتياجهم إليه لعماثرهم^(٣). وكان يرفع من خوارزم العنب والسمن الكثير^(٤).

كما كانوا يزرعون البطيخ حيث كان إقليم خوارزم محاط بالرمال التى تنبت شوكا طويل الإبر يقال له بالعجمية اشتراغار. فإذا كان وان زرع البطيخ يذهب أهل خوارزم إليها، ويزرعون فيها بذر البطيخ ويتركوها، فينبت البذر بنداوة الشوك، ولا يحتاج أصحابها إلى السقى ولا إلى شىء من أعمال الزراعة، فإنه إذا كان أوان البطيخ، وجدوا الأرض ممتلئة بالبطيخ الذى لا يوجد مثله فى البلاد حلاوة وطيبا ويكون رخيصا جدا لكثرتة، ثم يقدد ويحمل إلى البلاد للهدايا^(٥).

كما أولى الخوارزميون الرعى اهتماما واضحا، فقد انتشرت المراعى فى الشمال قرب بحيرة خوارزم، حيث كانت ترعى قطعان الأغنام التى يؤخذ منها الصوف، وقطعان المواشى التى تنتج أصنافا كثيرة من اللبن والجبن^(٦).

(١) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٠.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) ياقوت الحموى: نفسه، مج ٣، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٢.

(٥) القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٢١.

(٦) الإدريسى: (أبى عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الحمودى الحسينى المعروف بالشرىف الإدريس)، من علماء القرن السادس الهجرى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، مجلدان، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، مج ٢، ص ٦٩٩.

أما سكان البربر فإن اللحم لا يباع لديهم ولا يشتري لكثرتة وغالب أكلهم لحوم الطير واللبن والسمن، وإن تلف لأحد منهم دابة من فرس أو بقرة أو شاه أو غير ذلك، ذبحها وأكل هو وأهله منها، وأهدى لجيرانه فإذا تلف عند من أهدى إليه شيء من ذلك ذبحه أيضا، وأهدى لجيرانه، فلهذا لا تكاد تخلو من اللحم^(١).

أما في التجارة: فكانت أكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق ودكاكين، وفي النادر أن يكون هناك قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمأنينة تامة^(٢).

وكانت أهم تجارات خوارزم الطعام والحبوب والفاكهة^(٣)، وكانت تصدر القطن والصوف وأمتعة كثيرة^(٤)، مثل غراء السمك وأسنان السمك والعنبر والعسل^(٥).

كذلك كان إقليم خوارزم مركزاً لحركة بيع وشراء مع بلاد البلغار^(٦) والصقالبة^(٧) والخزر^(٨)، حيث كان أهل خوارزم جيرانا للخزر، كما كانوا أكثر اتصالا بالمدينة الإسلامية^(٩)، وكان التجار الخوارزميون يدخلون البلغار والصقالبة، ويجلبون منها الخز والأوبار النفيسة إلى خوارزم^(١٠).

كما نشطت تجارة الرقيق مع الصقالبة والخزر وما والاها من رقيق الأتراك^(١١)،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، قسم ٢، ص ٤٧١.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٢، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٣) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٧٠، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٧.

(٤) الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٥.

(٥) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٢.

(٦) البلغار: اسم ناحية ومدينة، وهم مسلمون ولسان البلغار كلان الخزر، وفي البلد مسجد جامع وبقرهم مدينة أخرى تسمى سوار ومنها مسجد جامع. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٣٥، ومن جرجانية خوارزم إلى بلغار سبعين يوم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ١، ج ١، ص ٣٨٢، ٣٨٥.

(٧) الصقالية: هم جبل حمر الألوان يتاضمون بلاد الخزر، وقيل أن الصقالية بين بلغار وقسطنطينية. ياقوت: معجم البلدان، مج ٣، ج ٥، ص ١٩٦.

(٨) الخزر: هو إقليم قصته إثل وهو اسم النهر، وإثل قطعتان قطعة على غربى هذا النهر، وقطعة على شرقية الغربى خاص للملك وجنده، والشرقى من الخزر فيه معظم التجار المسلمين والمتاجر. الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٢٩، ١٣٠، ونهر إثل عند ابن حوقل أثل. صورة الأرض، ص ٣٣٠ وعند ياقوت: إثل معجم البلدان، مج ١، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٩) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، راجعه إبراهيم صبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٦٥.

(١٠) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٣٢.

(١١) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٧٠، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٨.

حيث كانوا يجلبونهم صغاراً ويعلمونهم ويؤدبونهم بالآداب الإسلامية، ثم يرسلون إلى سائر الأقطار الإسلامية^(١)، كما نشطت تجارة الأغنام وخاصة في أسواق الجرجانية^(٢).

كان من نتيجة ازدهار الزراعة والتجارة في إقليم خوارزم أثره في ازدهار الصناعة^(٣)، ومن هذه الصناعات السيوف والدروع، والديباج المنسوج من القطن والحرير، وغيرها من الثياب الملونة، وكذلك صناعة السفن من جذوع الأشجار^(٤)، كما كان أهلها بناءون حذاق^(٥).

لقد كان لهذا الإقليم الخصب الذى تتنوع مناظره بين مزارع وأشجار وأنهار وصحارى وطرق وأسواق ودكاكين، وتجارى وصناعات، أثره في وفرة أسباب المعيشة والترف، مما كان له أثر في إنجاب علماء وأدباء يشهد لهم التاريخ في ذلك، ويتضح هذا جلياً في قول المقدسى^(٦): «أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب.. فقد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب وخصهم بصحة القراءة والذهن».

كل هذا كان له أثره في صفاء ذهن علماء وأدباء إقليم خوارزم فأثبت لنا هذا الإقليم جماعة من المفسرين والفقهاء والمحدثين وغيره، كما أخرج لنا جماعة ممن جمعوا بين هذه العلوم الشرعية والعلوم الأدبية، كما أخرج جماعة في بقية العلوم الأخرى كالطب والصيدلة والكيمياء والرياضيات والفلك والفلسفة وغيره من هذه العلوم.

(١) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٢، صبرى سليم: الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى الإسلامى (٦٢٨ - ٦٤٤هـ / ١٢٣٠ - ١٢٤٦م) مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٩هـ / ٢٠٠٠م، ص ١٦.

(٢) المقدسى: أحسن التقاسيم ٢٣٠.

(٣) القزويني: آثار البلاد، ص ٥٢٠.

(٤) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٢، صبرى سليم: الأتراك الخوارزميون، ص ١٧.

(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٧.

ثانياً: إقليم خوارزم تاريخياً

أولاً: الفتح الإسلامي لإقليم خوارزم ٩٣هـ / ٧١١م:

تم الفتح الإسلامي لإقليم خوارزم في عهد الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م)، في عهد الخليفة الوليد عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م).

ففي عام ٩٣هـ / ٧١١م توجه القائد العربي المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي إلى إقليم خوارزم، ففتحه^(١). وكان ملك خوارزم يومئذ يقال له جنغان^(٢)، وكان ضعيفاً، وكان له أخ يقال له خرزاد قد غلبه على أمره^(٣) - وخرزاد هذا أصغر منه^(٤) - فأرسل ملك خوارزم إلى قتيبة يدعوه إلى أرضه ليسلمها إليه، على أن يمكنه من أخيه ومن عصاه^(٥)، وأرسل بكتابه إلى قتيبة سرا^(٦)، فأجابه قتيبة إلى ما طلب وتجهز للغزو، فسار ملك خوارزم - خوارزمشاه - فنزل مدينة الفيل وهي أحصن بلاده، وعين، ومتاع، على أن يعينه على خام جرد، فقبل ذلك^(٧)، وقيل صالحة على مائة ألف رأس^(٨). وبعث قتيبة

(١) اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي)، ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م، تاريخ اليعقوبي، مجلدان، دار صادر، بيروت، بدون، مج ٢، ص ٢٥٢، عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى، ط ١، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ٥٠، مجدى فتحى السيد: الإسلام والمسلمون فى العصر الأموى، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٧٧.

(٢) ابن أعثم الكوفى: الفتوح، مج ٧، ص ٢٣٥.

(٣) البلاذرى: (الإمام أبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى، ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، فتوح البلدان، حققه وشرحه وعلق عليه عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٥٩١.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٦٩، حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص ١٤٧.

(٥) ابن الأثير: (أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب بعز الدين، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣١م، الكامل فى التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، ١٠ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، مج ٤، ص ٢٧٣.

(٦) ابن أعثم الكوفى: الفتوح، مج ٧، ص ٢٣٥.

(٧) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٧٠، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج ٤، ص ٢٧٣.

(٨) ابن كثير: (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ذرع، البصرى الأصل، الدمشقى الشافعى)، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م، البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، =

أخاه عبد الرحمن إلى خام جرد وكان يغازي خوارزمشاه - جنغان فقاتله فقتله عبد الرحمن وغلب على أرضه، وأسر منهم أربعة آلاف فقتلهم^(١). وسلم جنغان إلى قتيبة مدينتين من مدن خوارزم، وسار معه في عسكره، وبقي خرزاد في المدينة الثالثة^(٢)، ودارت الحرب بين أهل خوارزم وعتيبة، فلم يكن إلا ساعة حتى أخذ خرزاد أسيراً^(٣).

وسلم قتيبة إلى جنغان أخاه خرزاد وكل من كان يخالفه من أمرائه فقتلهم، ودفع أموالهم، ودفع أموالهم إلى قتيبة^(٤)، ثم وفي بما كان ضمن له^(٥).

بذلك استطاع الفاتحون العرب المسلمون بقيادة قتيبة بن مسلم أن يسيطروا على السيادة الإسلامية، والدين الإسلامي على خوارزم، وأمر بفتح الكتاتيب، لتحفيظ القرآن الكريم، وأمر ببناء المساجد لتعليم الصلاة وأحكام الشريعة الإسلامية^(٦).

ثانياً: إقليم خوارزم بعد قتيبة:

لم يكتف قتيبة بالفتح بل دعا السكان إلى دخول الإسلام، وترك عبادة الأصنام، فأجابوه، واعتنقوا الإسلام، وكان على السكان غير المسلمين أن يدفعوا الجزية^(٧).

كان موت الخليفة الوليد بن عبد الملك ٩٦هـ / ٧١٤م، وقائده الحجاج بن يوسف، قد تركا جرحاً غائراً في صدر قتيبة، وما لبث أن قتل هو الآخر في حركة شغب وسوء فهم من جنده - لا مجال لتفسيرها - بعد أن رفض مبايعة الخليفة سليمان بن عبد الملك ٩٦ - ٩٩هـ / ٧١٤ - ٧١٧م، واتهم بمحاولته الاستقلالية بخراسان وما وراء النهر^(٨).

٨= مجلدات، ١٦ جزء، ط ٥، دار الحديث، القاهرة - ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، مج ٥، ج ٩، ط ٥، ص ٩١، ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون)، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٨ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، مج ٣، قسم ١، ص ٧٥: ٧٦.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٩٢، ابن الأثير: الكامل، مج ٤، ص ٢٧٣.

(٢) ابن أعمش الكوفي: المفتوح، ص ٢٣٦ / محمود شيث خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ط ١، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ٩٧.

(٣) ابن أعمش الكوفي: الفتوح، ص ٢٣٧.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٧٠: ٤٧١، ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٥، ج ٩، ص ٩١.

(٥) ابن أعمش الكوفي: الفتوح، ص ٢٣٧.

(٦) عبد الفتاح مقلد الغنيمي المسلمون في آسيا الوسطى: ص ٥١: ٥٢، محمد عبد العظيم أبو النصر: تاريخ المسلمين وحضارتهم في آسيا الوسطى، الزقازيق، ٢٠٠١، ص ٥٢: ٥٤.

(٧) عبد الفتاح مقلد الغنيمي: الإسلام والمسلمون في آسيا الوسطى، ص ٥١.

(٨) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥١٦: ٥١٧، بارتولد: تركستان، ص ٣٠٤.

وتولى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ولاية خراسان، وتوفى سليمان سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م وبويع لعمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧١٩م)، وكان لعدالة الحكم الإسلامى فى عهده ورعايته لحقوق الناس وعمارتة للبلاد أثر فى انتشار الإسلام^(١)، حيث أمر عمر بن عبد العزيز برفع الجزية عن أسلم، فسارع الناس إلى الإسلام^(٢).

وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٤ - ٧٤٣م. كانت جهود الأمويين منصرفة إلى تثبيت السيادة العربية، والتمكين للنفوذ الإسلامى من الانتشار بالطرق السلمية، ومن أهمها توظيف المسجد فى المهام الدعوية والتعليمية وتوطين القبائل العربية فى المدن الكبرى^(٣). خاصة فى عهد الولي أشرس بن عبد الله السلمى (١٠٨ - ١١٠هـ/ ٧٢٦ - ٧٢٨م) إذ كان أول من أنشأ الربط والخوانق^(٤) والمدارس وعمل على تثبيت قدم الثقافة العربية فى البلاد^(٥).

وتتابعت هذه الجهود فى عهد نصر بن سيار عندما تولى خراسان ١٢١ - ١٣١هـ/ ٧٣٨ - ٧٤٨م. هذا القائد الذى يحتل فى تاريخ النضال الإسلامى مكانة لا تقل عن مكانة قتيبة، فهو الذى حمى ما وراء النهر وخوارزم من الأتراك الشرقيين الكفار، وصان تراث العرب فى البلاد^(٦).

ولقد استعمل نصر بن سيار على خوارزم - أبا حفص على بن حقنه، فعمرت عمارة لم تعمر مثلها، وأحسن الولاية والجبابة^(٧) وأبو حفص أحد - بنى حنظلة - وهو صهر نصر بن سيار^(٨).

كانت حماية ما وراء النهر من عدوان الأتراك الشرقيين من أهم منجزات العصر

(١) يسرى الجوهري: آسيا الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٤.

(٢) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، مج ٢، ص ٣٠٢، ابن خلدون: العبر، مج ٣، قسم ١، ص ٩٠: ٩١.

(٣) مصطفى دسوقي كسبه: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، مؤتمر بجامعة الأزهر، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٠٤، محمد عبد العظيم أبو النصر: الفتح الإسلامى إقليم الصغد، حولية الدراسات الآسيوية، الطبعة الأولى، الرقازيق، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن الأربطة والخوانق راجع: الفصل الثانى، ص ٩١، ٩٢.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٢، حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص ١٥٤.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٥، ج ٩، ص ٣٢٩: ٣٣٠، محمد عبد العظيم: الفتح الإسلامى لإقليم الصغد، ص ٢٠٧.

(٧) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٥٧: ١٥٨، ابن خلدون: العبر، مج ٣، قسم ١، ص ١١٧.

(٨) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ١٥٧.

الأموى التى مكنت للسيادة الإسلامية من بلاد ما وراء النهر وإقليم خوارزم، كما أضافوا جهوداً أخرى فى ميدان الدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة العربية فى البلاد^(١).

ومن هنا فإن الدولة الأموية (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٥٠م) استطاعت أن تثبت الوجود والكيان الإسلامى فى إقليم خوارزم، حيث بذل الفاتحون جهوداً مختلفة لإدخال الناس فى حظيرة الدين الإسلامى، ولقد ترك الفاتحون حكم خوارزم فى أيدي حكامها الذين اعتنقوا الإسلام على أن يشترك معهم فى الحكم عامل من قبل الخليفة، وكان على سكان هذه البلاد غير المسلمين أن يدفعوا الجزية، وكانت معاملة العرب وحسن الأخوة الإسلامية دافعاً لسكان تلك المناطق للسعى للصلاة فى المساجد وسماع قراءة القرآن الكريم^(٢).

وهكذا كان دور بنى أمية فى إقليم خوارزم إيصال نور الدعوة الإسلامية والآية القرآنية إلى هذا الإقليم، وذلك عن طريق بناء المساجد واستقدام العلماء لتعليم الدين الإسلامى عن طريق ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية - لغتهم الأصلية، وكان القرآن الكريم يقرأ بالفارسية والعربية لأن العربية لم تكن ميسرة على الناس.

ثالثاً: إقليم خوارزم فى العصر العباسى:

سقطت الخلافة الأموية عام (١٣٢هـ / ٧٤٩م) بعد أن أصبحت غير قادرة على مواجهة الزحف القادم من شرق الدولة الإسلامية بقيادة أبى مسلم الخراسانى^(٣)، معلناً الولاء لبنى العباس^(٤). وفى عام ١٢٩هـ / ٤٧٦م وجه أبو مسلم شخصاً يدعى أبو الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم لإظهار الدعوة العباسية فى شهر رمضان عام ١٢٩هـ / ٤٧٦م، فإن أعجلهم عدوهم دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمروءة، فقد حل لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يظهروا السيوف ويجردوها من أغمارها، ويجاهدوا أعداء الله، ومن شغله العدو عن الوقت فلا حرج أن يظهر بعد الوقت^(٥).

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، ص ١٥٣، ١٥٤، محمد عبد العظيم: الفتح الإسلامى لإقليم الصغد، ص ٢٠٧.

(٢) عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص ٥١، ٥٢.

(٣) أبو مسلم الخراسانى: هو أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، الخراسانى القائم بالدعوة، وكان أبوه من رستاق فريزين من قرية تسمى سنجد (سنجر)، ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ٣، ص ١٤٥، لمزيد من المعرفة عن ظهور ودور أبى مسلم الخراسانى فى الدعوة العباسية، راجع ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٥، ج ١٠، ص ٧٣ - ٧٩.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٥، ج ١٠، ص ٣٣.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٣٥٦، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج ٣، قسم ٢ ص ١٤٤.

وانضوى أترك ما وراء النهر وأترك خوارزم فى سر تحت راية العباسيين السوداء بل وتحمسوا كذلك لدعوتهم^(١).

وكانت فترة ظهور الخلافة العباسية (١٣٢هـ / ٧٤٩م) قد شهدت نمو وازدياد الأطماع الصينية فى بلاد ما وراء النهر وخوارزم، لكن العباسيين نهضوا للدفاع عن ديار الإسلام واستطاع عاملهم زياد بن صالح الخزاعى أن يهزم الجيش الصينى الذى كان يقوده (كاو - هين - شيه) فى عام ١٣٣هـ / ٧٥٠^(٢).

وبذل العباسيون جهودا كبيرة فى تثبيت أقدام الإسلام فى إقليم خوارزم وغيره من أقاليم آسيا الوسطى، وكان لهم دور مهم فى انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية فى هذه البلاد.

ففى عهد الخليفة العباسى أبو جعفر العباسى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م)، ازدهرت حركة الترجمة، حيث شجع المترجمين على ترجمة الكتب التى تبحث فى علم النجوم، وكانت له عناية وبراعة فى الفقه والأدب، كما كان مقدما فى الفلسفة، وهو أول من عنى من آل العباس بالعلوم^(٣).

وفى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م) ازدهرت الحركة العلمية، حيث كان يميل إلى أهل الأدب والفقه، وكان يحب الشعر والشعراء، ويجزل لهم العطاء، كما كان يحسن معاملة العلماء^(٤).

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية أيضا الاهتمام بالعلم اليونانى وما كان الرشيد يقدمه إلى العلماء من هبات وجوائز، وخاصة الفقهاء والشعراء الذين ينقلون العلوم اليونانية^(٥).

(١) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٧٨.

(٢) بارتولد: تركستان، ص ٣١٦، الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص ٥٩، ٦٠.

(٣) الذهبى: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى)، ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م، تهذيب سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، هذب أحمد فايز الحمصى، ٣ أجزاء، ط ٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ١، ص ٢٤٩، ٢٥٠، عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٥٠.

(٤) ابن طباطبا: (محمد بن على طباطبا المعروف بابن الطقطقا)، ت ٧٠٩هـ / ١٢٤٧م، الفخرى فى الأداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بدون ص ١٩٣، ١٩٤، أحمد الشامى: الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م، ص ١٣١.

(٥) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٣١٧، الجيورى: (يحيى وهيب الجبورى)، الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ط ١، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٨م، ص ١٤٧.

وفى عهد المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م)، بلغت الحركة العلمية أوجها، فكان عصره هو عصر العلم والتأليف والترجمة، والازدهار الثقافى والحضارى، كما كان إماما فى العلوم العربية، والفلسفة، والنحو، والشعر، والحديث، وعلوم الأوائل، وكان يعد من كبار العلماء^(١).

وبرز فى عهد المأمون علماء أجلاء - لا مجال لذكرهم - نذكر منهم عالم خوارزمى برع فى عهده وهو محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فيما بين (١٦٤ - ٢٣٥هـ / ٧٨٠ - ٨٥٠م) والذى اشتهر برسائلته «حساب الجبر والمقابلة» والتى لعبت دوراً كبيراً فى الحضارة الإسلامية^(٢). وكان الخوارزمى منقطعاً إلى خزانة الحكمة للمأمون، كما كان من أصحاب علوم الهيئة^(٣).

وفى عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن^(٤). وتفضيل على بن أبى طالب، وقال هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ^(٥)، وفى عام ٢١٨هـ / ٧٣٣م امتحن الناس بخلق القرآن، وتفضيل دور على بن أبى طالب على أبو بكر وعمر^(٨)، إلى أن توفى فى نفس العام، وبويع المعتصم بعهد من المأمون، وامتحن الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار الإسلامية^(٦)، ومنها خوارزم، وأقبلت المعتزلة عليها، وأكثروا من النظر فيها، والتصفح بها، فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ١، ترجمة ١٦٣٠، ص ٣٧٠، يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر فى العصر الوسيط، ترجمة عن الفرنسية نزار أباطة، ومحمد صباغ، ط ١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٥٨.

(٢) على عبد الله الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات - دار الاعتصام، بدون، ص ٣٣.
(٣) ابن النديم: (محمد بن إسحاق)، ت ٣٨٣هـ / ٩٩٣م، الفهرست، تحقيق محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، بدون، ص ٣٧٥: ٣٧٦.

(٤) ابن الجوزى: (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد)، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، شذور العقود فى تاريخ العهود، ١٨٠ ورقة، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، ميكروفيلم ٣٥٨٢٦ ورقة ٧٠.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦١٩.

(٦) السيوطى: (جلال الدين السيوطى)، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، عنى بتحقيقه إبراهيم صالح، ط ١، دار البشائر، دمشق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٣٦٤.

(٧) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ١، ترجمة ١٦١٣، ص ٣٧٠: ٣٧١.

يوصف من البلاء والمحنة في الدين^(١). ودام ذلك حتى أزاله المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م^(٢).

وهكذا مضى العباسيون قدما في تنفيذ السياسة التي رسمها الأمويون لإسلام ما وراء النهر وخوارزم، وحققوا نجاحات هائلة، وارت الشقافة الإسلامية ف ركاب الإسلام وتوطدت أركانها بين أهل البلاد الذين بدأوا يتعلمون اللغة العربية^(٣).

وجدير بالذكر أن دعاة الدعوة العباسية قد وقعوا في خطأ تاريخي عندما اعتمدوا على العنصر الفارسي والخرساني والأترك في الدعوة لهم، والقضاء على النفوذ العربي والاعتماد على العنصر الفارسي حتى ولاية المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤١م) وهو الذي أسقط العرب من الديوان، واعتمد على العنصر التركي، مما أدى إلى نمو الشعور القومي التركي والفارسي، وأدى إلى ظهور الدول المستقلة في أقاليم ما وراء النهر، وكل ما يعيننا من هذه الدول هو دورها في إقليم خوارزم وأثره على الحياة الفكرية في هذا الإقليم.

رابعاً: إقليم خوارزم في عصر الدويلات المستقلة:

١ - خوارزم في عصر الدولة الطاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩هـ / ٨٢١ - ٨٧٢م)

ظهرت الدولة الطاهرية في بلاد خراسان وما وراء النهر كأول دولة مستقلة في المشرق الإسلامي، واتخذت اسمها من مؤسسها طاهر بن الحسين (٢٠٥ - ٢٠٧هـ / ٨٢٠ - ٨٢٢م)^(١).

وتولى طاهر بن الحسين خراسان في عهد المأمون فوردها في ربيع الآخر سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م، وفي عام ٢٠٧هـ / ٨٢٢م، اعتزم الخلاف وخطب يوماً فأمسك عن

(١) ابن العماد الحنبلي: (أبى الفلاح بعد الحى بن العماد الخليلي) ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م، ٤ مجلدات، ٨ أجزاء، مكتبة القدسي، بدون، مج ١، ج ٢، ص ٤٥، محمد الخضرى بك: تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون، ص ٢٠٨.

(٢) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء - ج ١، ص ٣٧١.

(٣) مصطفى دسوقي كسبة: المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز، ص ١٠٩.

(٤) كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة حسن على اللبودي، مراجعة د سليمان إبراهيم العسكرى، ط ٢، مؤسسة الشراع العربى بالاشتراك مع عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - ١٩٩٥م، ص ١٤٨، ١٤٩.

الدعاء للمأمون، ودعا بصلاح الأمة، ثم جاء من الغد الخبر بموته، فولى طلحة بن طاهر (٢٠٧ - ٢١٣هـ / ٨٢٢ - ٨٢٨م) من قبل المأمون^(١).

وخلفه أخوه عبد الله بن طاهر (٢١٣ - ٢٣٠هـ / ٨٢٨ - ٨٤٤م)، وكان شاعرا وأديبا فاضلاً^(٢)، وبعد موته أناب الخليفة الواثق ابنه طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢٣٠ - ٢٤٨هـ / ٨٤٤ - ٨٦٢م)^(٣) ثم آخر الأمراء الطاهريين محمد بن طاهر الثاني (٢٤٨ - ٢٥٩هـ / ٨٦٢ - ٨٧٢م) وكان فاضلاً وأديبا وشاعراً^(٤).

هؤلاء هم ولاة خراسان من الطاهريين وهي أول أسرة إيرانية بعد الإسلام، وكان لهذه الأسرة أثر في الحياة الفكرية في إقليم ما وراء النهر وخوارزم، حيث أبدى الطاهريون اهتماما كبيرا بجميع مدن ما وراء النهر، وبرز منهم الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر (٢٢٣ - ٣٠٠هـ / ٨٣٧ - ٩١٢م) وكان من أهل الفضل والأدب والشعر والحكمة، وكان يسمى بسبب أدبه وفضله حكيم آل طاهر^(٥).

وكان أمير خوارزم في عهد الطاهريين هو حسين بن طاهر^(٦)، حيث كانت خوارزم خاضعة لولاية خراسان، وفي عام ٢٥٩هـ / ٨٧٢م ظهرت دولة الصفاريين القوية التي وضعت حدا لحكم الطاهريين وآل إليها زمام الأمور بإيران. وحاولوا أن يمدوا سلطانهم على ما وراء النهر وخوارزم فكان في ذلك خراب دولتهم^(٧).

٢ - إقليم خوارزم في عصر الدولة السامانية (٢٦٠ - ٣٩٥هـ / ٨٧٣ - ١٠٤٤م)

يتشابه ظهور السامانيين على مسرح الأحداث في آسيا الوسطى بالبداية الأولى لظهور الطاهريين فكل منهما أسرة فارسية ارتبطت في شأنها بوالى عربى، وعملت في خدمة الولاية الأمويين، ثم دخلت تحت لواء العباسيين^(٨).

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج ٣، قسم ٣، ص ٣٠٩.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء الزمان، مج ٣، ص ٨٥، عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ص ١٦.

(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٨.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ٩٢.

(٥) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٨.

(٦) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٩٤.

(٧) بارتولد: تركستان، ص ٣٤٠، لمعرفة المزيد عن الدولة الصفارية راجع ابن خلكان وفيات الأعيان، مج ٦، ص ٤٠٢ - ٤٣٢، مؤسس الدولة الصفارية هو يعقوب بن الليث الصفارى، أحمد محمود الساداتى، محاضرات في التاريخ الإسلامى شعبة آسيا (الاتحاد العربى للطباعة، بدون، ص ١٣٨).

(٨) عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون، ص ٧٧.

لا يعيننا كيف نشأت الدولة السامانية - وكل ما يعيننا هو إبراز دور بنى سامان فى إقليم خوارزم.

ففى عام ٢٦١هـ / ٨٧٤م، ولى نصر بن أحمد السامانى^(١)، من قبل الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢م)، وكان خوارزم شاه حتى ٢٦٢هـ / ٨٧٥م وهو فى مرو يدعو لمحمد ابن طاهر^(٢)، وفى سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م، ملك رافع بن هرثمة - من قواد بنى طاهر - بلاد خراسان وخوارزم وحدث بينه وبين إسماعيل السامانى موالاة اتفقا على التعاون، كما طلب منه إسماعيل إقليم خوارزم فولاه إياه^(٣)، ثم حدثت الوحشة عام ٢٧٢هـ / ٨٨٥م فهزمه رافع، وسار إلى خوارزم فجبى أمواله ورجع إلى نيسابور^(٤).

وفى خلافة المعتضد ٢٧٩هـ / ٨٩٢م، عزل رافع بن هرثمة من إمارة خراسان، ودخلها عمرو ابن الليث^(٥)، وفى نفس العام توفى نصر السامانى، وبسط إسماعيل سلطانه على خوارزم وبلاد ما وراء النهر سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣ - ٨٩٤م^(٦).

وفى عام ٢٨٣هـ / ٨٩٦م التقى عمرو بن الليث الصفار ورافع بن هرثمة، فانهزمت جيوش رافع^(٧)، وفر هاربا، إلى خوارزم فقتل بها، وحمل رأسه إلى عمرو بن الليث بنيسابور^(٨)، وكان عمرو بعد أن هزم رافع قد بات يرى فى السامانيين وقوتهم الصاعدة، مع محبة الناس لهم منافسا له لابد من القضاء عليه بأى ثمن^(٩).

وفى نهاية الأمر، انهزم عمرو بن الليث وأخذ أسيرا، وحبسه المعتضد عام

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥١٤.

(٢) راجع بارتولد: تركستان، ص ٣٤٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٣، قسم ٣، ص ٣٨٢.

(٤) ابن خلدون: نفسه، مج ٣، قسم ٣، ص ٤٠٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٦، ج ١١، ص ٧٠.

(٦) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ٩٨.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٦، ج ١١، ص ٧٨، العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، مج ١، ج ٢، ص ١٨٢.

(٨) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٠، ص ٥٠، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج ٣، قسم ٣، ص ٢٤٥.

(٩) النرشخى (أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى)، ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م، تاريخ بخارى، عربية عن الفارسى وقدم له وحققه وعلق عليه د. أمين عبد المجيد بدوى، د. نصر الله مبشر الطرازى، ط ٢، دار المعارف، بدون، ص ١٢٥ - ١٢٩.

٢٨٨هـ / ٩٠١م، إلى أن مات المعتضد سنة ٢٨٩هـ / ٩٠٢م، بعدها قتل ابنه المكتفى ٢٨٩ - ٢٩٥هـ / ٩٠٢ - ٩٠٧م، وعقد إسماعيل على خراسان، ومارس السامانيون سيادتهم على إقليم خوارزم^(١).

وتوفى إسماعيل عام ٢٩٥هـ / ٩٠٧م، وكان ملكا فاضلا عالما، معظما للعلماء، فتملك بعده ابنه أحمد (٢٩٥ - ٣٠١هـ / ٩٠٧ - ٩١٤م) فقتله مماليكه، ثم ملكوا ولده نصر بن أحمد، فدام ثلاثين عاما، (٣٠١ - ٣٣١هـ / ٩١٤ - ٩٤٣م)^(٢).

وقد ذكر المقدسى^(٣): كيف صارت أقاليم ما وراء النهر وخوارزم فى العصر السامانى مركزا للتجارة والصناعة، كما أصبحت ما وراء النهر منارة للعلم، كما أن عناية الأمراء السامانيين بالعلوم الدينية قد دفعهم بالعناية إلى العلوم الأخرى الأدبية والطبيعية فنبع فى عهدهم الكثير من الشعراء والعلماء وحفل بلاط السامانيين بالعلماء والفقهاء والأدباء^(٤).

وعندما توفى نصر بن أحمد سنة ٣٣١هـ / ٩٤٣م، تولى مكانه ابنه نوح ٣٣١ - ٣٤٣هـ / ٤٣ - ٩٥٤م، وانتقض بخوارزم عام ٣٣٢هـ / ٩٤٤م عبد الله بن أشكام، وامتنع به، فبعث إليه جيشا وجعل عليهم إبراهيم بن بارس^(٥) الفارسى فمات فى الطريق، واستجار ابن أشكام بملك الترك. وكان لملك الترك ابن محبوس ببخارى^(٦) فبعث إليه نوح بإطلاق ابنه على أن يقبض على ابن أشكام، وأجابه ملك الترك لذلك، ولما علم بذلك ابن أشكام عاد إلى طاعة نوح، وترك خوارزم وعفا عنه وأكرمه^(٧).

ويقول النرشخى^(٨): وفى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م، صفت الولايات للأمير الحميد نوه بن نصر ابن أحمد بن إسماعيل السامانى، وقد فارق الدنيا فى شهر ربيع الآخر سنة

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٣، قسم ٤، ص ٤٣١، كليفورد. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص ١٥١.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٣.

(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ص ٢٢٧.

(٤) الغنىمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا الوسطى، ص ٨٠، محمد عبد العظيم: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، ص ٩٤: ٩٥.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج ٧، ص ١٨٤.

(٦) بخارى: بالضم، من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها. لمزيد من التفاصيل راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ج ٢، ص ٢٨٠، كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٣، ٥٠٤.

(٧) ابن خلدون: العبر، مج ٤، قسم ٤، ص ٤٠٩.

(٨) النرشخى: تاريخ بخارى، ص ١٣٧، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١١٦.

٣٤٣هـ، وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة سنة، فخلفه ابنه عبد الملك الملقب بالرشيد (٣٤٣ - ٣٥٠هـ / ٩٥٤ - ٩٦١م)^(١).

وفى عام ٣٥٠هـ / ٩٦١م سقط الفرس تحت الأمير عبد الملك بن نوح، فوقع إلى الأرض فمات، وولى بعده أخوه منصور بن نوح (٣٠٠ - ٣٦٥هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م)^(٢)، وبعد موت منصور خلفه ابنه نوح الثانى ذو الثلاثة عشر عامًا ولما كان لا يزال آنذاك صغير السن، قامت أمه بإدارة أمور الملك ولما بلغ نوح سن الرشد قام لإحكام أساس إمارته الأمير أبو الحسن السيمجورى^(٣).

وظل نوح واليا إحدى وعشرين سنة (٣٦٥ - ٣٨٧هـ / ٩٧٦ - ٩٩٧م) إلى أن توفى عام ٣٨٧هـ / ٩٩٧م، فولى بعده ابنه أبو الحارث منصور، فبقى سنة وتسعة أشهر، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا أخاه عبد الملك، فقصدته محمود الغزنوى - على ما سيأتى ذكره فهزمهم وهربوا منه إلى بخارى، ثم أتاهم أيلك ملك الترك مظهرًا لنصرتهم، فقبض عليهم وعلى جميع السامانية فى عام ٣٨٩هـ / ٩٩٩م، وانقرض ملكهم بعد مائة وستة وستين شهوْرًا^(٤).

إقليم خوارزم فى عصر السامانيين (الأسرة المأمونية - الأسرة الخوارزمشاهية):

ظل إقليم خوارزم فى عصر السامانيين تحت إمرة أسرتين من الأمراء الأولى الأسرة المأمونية التى حكمت الجزء الشمالى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم الجرجانية، والثانية الأسرة الخوارزمية الذين سيطروا على الساحل الأيمن أى الجزء الشرقى لنهر جيحون وكانت عاصمتهم كاث^(٥).

وفى عام ٣٨٥هـ / ٩٩٥م كان الأمير نوح السامانى فى بخارى، ومحمود الغزنوى بنياسبور، وكان نوح قد ولاه خراسان فى عام ٣٨٤هـ / ٩٩٤م، فطمع أبو على

(١) فامبرى: نفسه، ص ١١٦، ولمعرفة المزيد عن عبد الملك بن نوح راجع عباس إقبال بعد الإسلام، ص ١٥٠ - ١٥١، والترشخى: نفسه، ص ١٣٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، مج ٧، ص ٢٧٠.

(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام.

(٤) ابن الجوزى: (أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن الجوزى)، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ١٨ جزء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ج ٥، ص ٧.

(٥) بارتولد: تركستان، ص ٣٦٣، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٥.

السيجمورى فى خراسان، فلما بلغ محمود خبرهما كتب إلى أبيه بذلك، فجمع العساكر وسار نحو أبى على بطوس، وأتاهم محمود فى عسكر ضخم من ورائهم، فانهزموا، ونزل أبو على الجرجانية، بقرية قرب خوارزم، فأرسل إليه أبو عبد الله خوارزمشاه^(١) عسكره، فأخذوه أسيرا فاعتقله فى بعض دوره، ولما أسر أبا على بلغ خبره مأمون بن محمد حاكم الجرجانية، فجمع عساكره وسار نحو خوارزمشاه، وعبر كاث، فحاصروها وفتحوها عنوة، وأسرو أبا عبد الله خوارزمشاه، وأحضروا أبا على، وعادوا إلى الجرجانية، واستخلف مأمون بخوارزم بعض أصحابه، وصار فى جملة ممتلكاته، وأحضر خوارزمشاه وقتله، وكتب إلى الأمير نوح يشفق على، ويسأل الصفح عنه، فأجيب إلى ذلك^(٢).

وبذلك أطاحت الأسرة المأمونية، بالأسرة الأفريغية^(٣) فى كاث، واتخذوا لأنفسهم لقب خوارزمشاه أى ملك خوارزم، وأصبحوا شبه مستقلين فى الفترة ما بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية، ثم عادوا حكاما تحت حماية الغزنويين^(٤).

لقد ظلت هذه الأسرة المأمونية تحكم خوارزم فى الفترة (٣٨٥ - ٤٠٨ هـ/ ٩٩٥ - ١٠١٧ م)، وفى عام ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧ م، توفى الأمير نوح بن منصور السامانى^(٥)، ومأمون بن محمد بن خوارزمشاه وخلفه ابنه أبو الحسن على بن مأمون بن محمد^(٦)، وعندما

(١) كان الاسم التقليدى الذى يسمى به من يشهر إسلامه من الخوارزمشاهيون هو «عبد الله» كلفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ص ١٥٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل، مج ٧، ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٣) الأسرة الأفريغية: نسبة إلى أفريغ ملك خوارزم مؤسس هذه الأسرة الإيرانية الأصل ولقد قام البيرونى بتتبع بدايات الحياة السياسية فى خوارزم، حتى الألف الأولى ق.م، وحدد بداية هذه الأسرة حوالى ٣٠٥ - ٣٨٥ هـ/ ٩١٥ - ٩٩٥ م، وذكر ٢٢ شاهاً من شاهات هذه الأسرة حتى زوالها، وكان آخرهم كما يقول: الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن عراق بن منصور بن عبد الله بن تركسانة بن شافرفين أسكحموك بن سبرى بن سخر ابن أزكاجوار بن أسكجموك بن سخك بن بغره بن أفريغ البيرونى: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٣٦، ٣٥.

(٤) النظام العروضى السمرقندى: جهاز مقالة (المقالات الأربع) فى الكتابة والشعر والنجوم والطب، وعليه خلاصة حواشى العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى، نقله إلى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م، حاشية ١٩، ص ١٦٨.

(٥) ابن العبرى: (غريغوريوس الملطى المعروف بابن العبرى)، ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٨.

(٦) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦، راجع كلفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص ١٥٧: ١٥٩.

توفي سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، خلفه أخوه أبو العباس مأمون بن مأمون إلى أن توفي ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م، فخلفه أبو الحارس محمد ٤٠٧ - ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، وتوفي في نفس العام، وبموته انقرضت هذه الأسرة المأمونية^(١).

٣ - إقليم خوارزم في عصر الدولة الغزنوية:

لقد حكمت الأسرة المأمونية في الفترة ما بين سقوط الدولة السامانية، وقيام الدولة الغزنوية، حكما شبه مستقل، وظل الأمر على ذلك حتى جاء السلطان محمود بن سبكتكين^(٢). وكان يحكم خوارزم في ذلك الوقت أبو العباس مأمون بن مأمون بن محمد خوارزمشاه (٣٩٩ - ٤٠٧هـ/ ٩٩٧ - ١٠٠٩م)، وكان يراعى جانب السلطان محمود الغزنوي في كل شيء ويبدى له من التواضع ما لا حد له^(٣)، وكان من أفاضل الملوك الذين صادقوا أهل العلم والحكمة، فكان بلاطة مجمعا لهم فألفوا كتباً كثيرة باسمه. وقد تزوج من أخت السلطان محمود، كما فعل أخوه من قبل، وكانت الصلة بينهما وطيدة حتى عام ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م قبل أن يسيء السلطان به الظن فأرسل إليه رسولا بأمره بأن تكون الخطبة باسمه^(٤)، فأجابه إلى ذلك وأحضر أمراء دولته، واستشارهم في ذلك فأظهروا الامتناع، وثاروا عليه وقتلوا وأمروا عليهم ابن أخيه أبا الحارث محمد بن علي بن مأمون^(٥).

واتصل الخبر بالسلطان محمود فجمع العساكر وسار نحوهم، بحجة الانتقام لدم أبي العباس مأمون خوارزمشاه وإنقاذ أخته، وبعد معركة في هزاراسب بالقرب من

(١) النظامي العروضي: جهاز مقالة، حاشية ١٩، ص ١٦٩، لمزيد من التفاصيل راجع عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦ وما بعدها.

(٢) سبكتكين: والد محمود صاحب غرنة، وقد كان سبكتكين مولى الأمير أبي إسحاق بن البتكين صاحب جيس غرنة وأعمالها للسامانية، وكان مقدما عند مولاه لعقله وشجاعته، فلما توفي أبو إسحاق ولم يكن له ولد اتفق العسكر ولوا سبكتكين، وحلفوا له وأطاعوه ثم أنه عظم شأنه وارتفع قدره وغزا بلاد الهند، واستقر الملك في يده، واستمر من بعده، في ولده محمود بن سبكتكين، ابن الأثير: الكامل، مج ٧، ص ٣٧٣: ٣٧٤ سبط ابن الجوزي: (شمس الدين أبي المظفر يوسف قزواً على بن عبد الله البغدادى)، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الحقبة ٣٤٥ - ٤٤٧هـ/ ٩٥٦ - ١٠٥٥م، تحقيق جنان جليل محمد الهمون، وزارة الأعلام والثقافة، الدار الوطنية، بغداد ١٩٩٠م، ص ٣٤٨.

(٣) البيهقي: (أبو الفضل محمد بن الحسن البيهقي)، ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، تاريخ البيهقي، ترجمة إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نات، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٧٣٤.

(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦.

(٥) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٧٩، ابن خلدون: العبر، ج ٤، قسم ٤، ص ٤٤٦.

جرجانية هزم جند خوارزمشاه هزيمه شديدة، ثم دخل عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م الجرجانية وقبض على جميع أفراد الأسره المأمونية وأتى بهم إلى غزنة^(١).

وبذلك دخل خوارزم عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م، فى حوزة الدولة الغزنوية، واستتاب فيها السلطان محمود حاجبة التونتاش^(٢)، وترك معه قسما من جيشه لحين تهدئة المنطقة نهائيا، واستقرت الأمور بذلك^(٣).

ظل إقليم خوارزم من جملة مملكة محمود بن سبكتكين، ونائبة فيها الحاجب التونتاش، ثم صارت لمسعود بن محمود بن سبكتكين بعد وفاة والده سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، ولما توفى قامت التونتاش ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م، ولاء مسعود ابنه هارون بن التونتاش ولقبه خوارزمشاه، ثم قتل هارون بيد جماعة من غلمانة عند خروجه إلى الصيد فاستولى على الإقليم رجل يقال له عبدالجبار ثم وثب غلمان هارون على عبدالجبار فقتلوه وولوا إسماعيل ابن التونتاش ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م^(٤).

كل هذه الفتن مهدت الطريق أمام دولة جديدة هى دولة السلاجقة.

٤ - إقليم خوارزم بين الغزنويين والسلاجقة:

ظل إقليم خوارزم تحت حكم الدولة الغزنوية، حتى قيام دولة السلاجقة.

أ - أصل السلاجقة وهجرتهم نحو المشرق:

يجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز^(٥)، الذين

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٩٤، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٧٦ لمعرفة أحداث الحرب بين السلطان محمود والخوارزميون واستيلاءه على خوارزم ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م. راجع البيهقي نقلا عن أبي الريحان البيروني من كتابه المفقود تاريخ خوارزم. تاريخ البيهقي، ص ٧٣٦ - ٧٤٦، بارتولد: تركستان، ص ٤١٥ - ٤١٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، مج ٨، ص ٩٥، ابن خلدون: العبر، ج ٤، قسم ٤، ص ٤٤٦، ابن الجوزي: المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، ج ١٤، ص ١٢١، التونتاش: التون كلمة تركية معناها ذهب. النسوى: محمد بن أحمد النسوى ت ٦٣٩هـ/ ١٤٢١م، مسيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق د/ حافظ محمد حمدى، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٣م، حاشية ٦، ص ٣٨.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٧٤٦، بارتولد: التركستان، ص ٤٩.

(٤) أبو الفدا: (عماد الدين إسماعيل أبى الفدا)، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، المختصر فى أخبار البشر، مجلدان ٤ أجزاء، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون، مج ١، ج ٢، ص ١٦٦، ولقد ذكر أبو الفدا. التونتاش بالطيطاس، ولكننا فضلنا ذكر التونتاش كما جاء فى معظم المصادر التاريخية.

(٥) الغز (الأوغوز): لفظ يقع على ما يتوالد بين العجم فى المدن من نسايمهم، وقيل الغز لفظ يقع على جنس العجم كله، وقيل الغز فى جنس العجم كالمولدة فى العرب، وقيل لفظة الغز تقع فى التركى =

ظهروا فى التاريخ كمجموعة تركية تابعة للإمبراطورية التركية فى القرن السادس الميلادى^(١). وينكر الدوادارى^(٢) عليهم هذا النسب، ويقول أنهم من السامانية، ويرجع أصولهم إلى الفرس ملوك العجم، ولكن أصلهم التركى هو الأصح^(٣).

والسلاجقة أحد فروع هذه القبائل التركمانية الغزية^(٤)، وتعرف قبيلتهم باسم قذق^(٥) وقد عرفوا بهذه التسمية نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق^(٦)، أحد رؤساء الأتراك، وكان دقاق مقدم الأتراك الغز، يرجعون إليه ولا يخالفون له أمراً^(٧)، وقد عرف بشهامته وحسن تديره^(٨).

=والتركمانى والقفشق والجنس والمولد: وقيل من ولد عامور بن يافث بن نوح، وقيل الغز بجنس التركمانى والتركى أقعد، وقيل الغز جبل من الشام. المقرئى: (أحمد بن على المقرئى)، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، عدة أجزاء، صححه ووضع حواشيه د/ محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٩م، ج ١ قسم ١، حاشية ٧، ص ٣١.

- (١) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٦.
- (٢) الدوادارى: (أبو بكر عبد الله بن أيك الدوادارى)، كثر الدرر جامع الغرر، الجزء السادس، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٣٤، تاريخ، بعنوان الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية، ميكروفيلم رقم ٦٤٨٣، ورقة ٢٠ وما بعدها.
- (٣) أحمد الشامى: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ١، دار النهضة العربية، ١٩٩٣م، ص ٣٢، وكان الموطن الأصلي للشعوب التركية ومنها الغز هى سهول أوراسيا التى هى مناطق تابعة للجمهوريات الإسلامية الحالية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى سابقاً أو الصين الشعبية. سهيل زكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط ٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٢٢.
- (٤) القبائل التركمانية: من الأتراك الذى ينتمى إليهم الغز، وكلمة تركمان كلمة مجهولة الأصل والمنشأ، ويقال أنها ذات أصل فارسى (ترك مانده) أى (أسباه الترك) أو «ترك كردن» أى الترك والابتعاد. بارتولد: تاريخ الترك، ص ١٠٦، عبد النعيم حسانين: قاموس الفارسية، دار الكتاب المصرى واللبنانى، القاهرة، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٥٩.

- (٥) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٢٧، دائرة المعارف الإسلامية، مج ٢، ص ٢٤.
- (٦) دقاق: تقاق (يقاق)، اسم مقدم السلاجقة الحسينى (صدر الدين على ابن ناصر الحسينى)، ت ٦٢٢هـ/ ٢٢٥م. زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، تحقيق د. محمد نور الدين، ط ٢، دار اقرأ، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، حاشية (١)، ص ٢٣، أما سلجوق بن دقاق عرف ب، (تيمور بلغ) أى «ذى القوس الحديد»، دائرة المعارف الإسلامية، مج ١٢، ص ٢٤.

- (٧) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج ١، ج ٢، ص ١٦٣.
- (٨) الراوندى: (أبو بكر محمد بن على بن سليمان بن محمد بن أحمد بن الحسينى بن همة الراوندى)، ت ٥٩٩هـ/ ١٠١٩م، راحة الصدور وآية السرور، نقله إلى العربية د/ إبراهيم أمين الشواربى، د/ عبد النعيم حسانين، د فؤاد عبد المعطى الصياد، راجعه د/ إبراهيم أمين الشواربى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة ١٩٦٠م، ص ١٤٦: ١٤٧.

أخذت قبائل الغز التركمان ترحل من موطنها الأصلي أقصى سهول التركستان^(١)، على شكل موجات خلال القرون (الثاني والثالث والرابع للهجرة)^(٢).

وفى سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م استقرت هذه القبائل فى بلاد ما وراء النهر^(٣)، وكانوا كثيرى العدد، ولديهم المال الوفير، يعتمدون على الخيول فى رحيلهم من جهة إلى أخرى^(٤).

وقد هاجرت هذه القبائل إلى بلاد ما وراء النهر لدوافع عديدة منها ضيق رقعة ديارهم وقلة مراعيهم^(٥)، والتنازع واستمرار الحروب فيما بينهم، أو غلبة قبائل أكثر قوة عليهم، وسيطرتهم على أراضيهم خصوصا إذا ما كثر عدد أفراد القبائل، فعجزت موارد الرزق عن كفايتهم، أو حدث قحط جعل هذه الأماكن لا تصلح لاستمرار الحياة فيها، وقد وجهت هذه القبائل وجهها شطر الغرب واستقرت فى بلاد ما وراء النهر خراسان^(٦).

ويذهب البعض إلى أن السلاجقة دخلوا فى الإسلام، بعد أن اعتنقوا المسيحية، ويستندون فى تأييد قولهم بأسماء ميكائيل وموسى وإسرائيل التى تسمى بها ملوكهم وأولادهم، وهى من الأسماء التى وردت فى الكتاب المقدس^(٧).

ولقد عرف الغز السلاجقة الإسلام والمسيحية بواسطة خوازم وهى البلاد المتدنية التى كان بينها وبين الغز علاقات تجارية وثيقة^(٨)، مما كان له أثر كبير فى التقريب بينهم وبين السامانيين، فدخل قسم الغز المسلمين فى خدمة السامانيين، وتعهدوا بذلك فى مقابل المراعى التى أعطيت لهم، على أن يدفعوا عن حدود ممتلكات السامانيين ضد إخوانهم من الغز الذين لم يدخلوا فى الإسلام^(٩).

(١) الرواندى: راحة الصدور آية السرور، ص ١٤٥.

(٢) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٧: ٥٨، محمد عبد العظيم أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٤.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٥.

(٤) الرواندى: راحة الصدور وآية السرور، ص ١٤٥.

(٥) الرواندى: المصدر السابق، ص ١٤٦، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٦.

(٦) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٢٧، عبد النعيم حسنين: المصدر السابق، ص ١٦.

(٧) دائرة المعارف الإسلامية، مج ١٢، ص ٢٥، مادة سلاجقة.

(٨) بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى، ص ١٠٣.

(٩) بارتولد: تاريخ الترك، ص ١٠٤، محمد محمود إدريس، تاريخ العراق والشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، ص ٥٩، ٦٠.

وهكذا وضع السلاجقة أنفسهم فى حروب طويلة، وكانوا جاهزين لتقديم خدماتهم لمن يطلبها ويدفع أكثر، أو يسمح لهم بالإقامة، وتأمين المراعى للماشية^(١).

وتوفى الأمير سلجوق بن دقاق، بعد أن عاش مائة سنة أو يزيد، ولقد رأى فى منامه ذات ليلة أنه سيبول ناراً يتلظى شررها فى مشارق الأرض، ومغاربها فسأل المعبر، فقال سيولد من نسلك ملوك يملكون أقاليم الأرض^(٢).

ولقد تحققت هذه الرؤية حيث كان لسلجوق أربعة أولاد من الذكور: أرسلان (إسرائيل)، وميكايل، وموسى، وبيغو^(٣) (بغو أو بنون)^(٤) وابن خامس هو يونس حسب ما أورده الراوندى^(٥).

وقاد إسرائيل أكبر أبناء سلجوق، هجرة السلاجقة بعد أبيه، حيث اتجه نحو خراسان^(٦).

ب - الصراع السلجوقى الغزنوى فى خوارزم:

فى عام ٤١٥هـ / ١٠٢٤م، أسر السلطان محمود إسرائيل (أرسلان) وبقي فى الأسر مدة سبع سنوات حتى أدركته الوفاة^(٧).

وفى سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م، عبر السلاجقة بقيادة ميكايل بن سلجوق نهر جيحون لتبدأ قصة أخرى فى تاريخ السلاجقة، حيث تمكن ميكايل من ترسيخ أقدام قومه فى إقليم خراسان وتوحيد صفوفهم^(٨)، وتحين فرصة الأخذ بالثأر من الغزنويين والقضاء على نفوذهم فى خراسان، وبلاد ما وراء النهر^(٩).

ولكن أهل بعض المدن فى خراسان، فى نسا^(١٠) وباورد^(١١)، اشتكوا إلى

(١) محمد عبد العظيم: السلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، ص ٣٩، سهيل زكار: مدخل إلى الحروب الصليبية، ص ٣٧.

(٢) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٥.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٥.

(٤) بيغو (بغو أو بنون): معناه الغزال، فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية ١، ص ١٢٨.

(٥) الرواندى: راحة الصدور وآية السرور، ص ١٤٦.

(٦) عباس إقبال: إيران بعد آلأم، ص ٢٢٨.

(٧) الرواندى: راحة الصدور، ص ١٤٩ - ١٥١.

(٨) محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص ٤٤.

(٩) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران، ص ٢٦.

(١٠) نسا «هى مدينة بخراسان» راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٣٨٤: ٣٨٥.

(١١) باورد: هى مدينة بخراسان: راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ١، ص ٢، ص ٢٦٥.

السلطان محمود وطلبوا إليه إبعاد السلاجقة من جوارهم ودارت معارك عنيفة، انتصر السلاجقة^(١) فيها، ألا إن حضور السلطان بنفسه أحوال النصر إلى هزيمة نكراء للسلاجقة قرب رباط فراوه^(٢)، حيث قتل ميكائيل، ومعه أربعة آلاف فارس من خيرة فرسان السلاجقة^(٣).

وفي رباط فراوه، تجمع السلاجقة بعد هزيمتهم، تحت قيادة ابني ميكائيل بن سلجوق وهما جغرى بيك داود، وطرغل بك أبو طالب محمد^(٤)، وتم اختيار طغرل بك ليكون القائد، فصمم على تحقيق أهداف السلاجقة التي ترمى إلى إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلامي كله لو استطاعت إلى ذلك سبيلا^(٥)، ويعتبر طغرل بك المؤسس الحقيقي لدولة الأتراك السلاجقة في إيران والعراق^(٦).

توفي السلطان محمود الغزنوي سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م، فانتهاز الأخوان جغرى بيك وطرغل بك الفرصة، فأعدوا جيشا قويا، وتمكنوا من توسيع رقعة أراضيهم حتى أصبح معظم إقليم خراسان خاضعا لنفوذهم^(٧).

أثناء الصراع السلجوقي الغزنوي، كان على خوارزم التوتناش، وعندما توفي تولى ابنه هارون التوتناش ولاية خوارزم (٤٢٣ - ٤٢٦هـ / ١٠٣٢ - ١٠٣٥م) من قبل السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين^(٨).

(١) البندارى: (الفتح بن على بن محمد بن محمد البندارى الأصفهاني)، ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، تاريخ دولة آل سلجوق، هو اختصار للإمام عماد الدين محمد بن محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٧، ويرجع فامبرى سبب هزيمة السلاجقة أن أمير خوارزم هارون بن التوتناش تظاهر بصداقته للسلاجقة ثم غدر بهم، تاريخ بخارى، حاشية ١، ص ١٣١.

(٢) فراوه: بلد مما يلي خوارزم ويقال لها رباط فراوه بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون، راجع أبي الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٤٩.

(٣) الرواندى: راحة الصدور، ص ١٥٤.

(٤) جغرى وطرغل: هما لفظان تركيان، الأول جغرى معناه اللامع أو المتألق. أما الثانى طغرل مصغر دو غراول: أى القصاب، وهو مشتق من فعل (دو غرامق) أى أن يذبح، ويخطئ المستشرقون حين يظنون أن لفظ جغرى هو لفظ جعفر فحرف، وحين ربطوا كلمة طغرل مع كلمة دوغرو، أى المستقيم، فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية (١)، ص ١٢٩.

Mehemet Altay Koymen: Tugrul Beyve Zamani, Istanbul, 1976, P2-5

(٥) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٣١.

(٦) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٥، ص ٣٤٩.

(٧) الرواندى: راحة الصدور، ص ١٥٤.

(٨) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج ١، ج ٢، ص ١٦٦، كليفورد أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص ١٥٧.

وفى سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م، خيم السلاجقة بظاهر خوارزم، ولكن هارون غدر بهم، فأكثر فيهم القتل والنهب والسلب، فساروا عن خوارزم إلى جهة^(١) مرو^(٢)، فاستغل السلطان مسعود الفرصة، وأعد جيشا كبيرا^(٣)، وهزم السلاجقة هزيمة نكراء^(٤)، وانشغل الجيش الغزنوى بجمع الغنائم مما أتاح الفرصة لقواد الجيش السلجوقي لترتيب صفوفهم، ودارت معركة رهيبة بين الجيشين عند «نسا» انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين^(٥)، مما دعا السلطان مسعود للموافقة على الصلح مع السلاجقة^(٦) فأصبح السلاجقة أشد قوة وبأس^(٧).

أدرك السلطان مسعود أهداف السلاجقة، وأعد العدة لقتالهم وعاود السلاجقة غاراتهم على نطاق أوسع من قبل، وعجز الحكام المحليون عن وقف تلك الغارات المفاجئة التى وجهها السلاجقة على أراضى الغزنويين^(٨).

وفى خوارزم قتل هارون بن التوتناش، وتولى أخوه إسماعيل خندان^(٩) بن التوتناش ٤٢٦هـ / ١٠٣٤م، من قبل السلطان مسعود^(١٠).

وفى سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م، استولى جفرى بك على مرو، واستجاب سكان مرو للسلاجقة، وانضموا تحت لوائهم حين أدركوا ما أصاب الغزنويين من ضعف^(١١).

وفى سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، عاد السلطان مسعود من بلاد الهند وكتب إلى أمير

-
- (١) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج ١، ج ٢، ص ١٦٦.
 - (٢) مرو: أشهر مدن خراسان وقصبتها، لفظ مرو بالعربية الحجارة البيض، راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ج ٨، ص ٢٥٣: ٢٥٦.
 - (٣) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٢٠ - ٥٢١، كان البيهقى يشغل وظيفة نائب ديوان الرسائل فى بلاط السلطان مسعود، وكتب هذا الكتاب باسمه (صحائف مسعودى)، وكان شاهد عيان على حروب الغزنويين حتى سقوط السلطان مسعود.
 - (٤) أبو الفدا: المختصر، مج ١، ج ٢، ص ١٦٤.
 - (٥) الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٧، ١٥٨.
 - (٦) لمزيد من التفاصيل راجع البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٢٨ - ٥٢٩، الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٧.
 - (٧) الراوندى: راحة الصدور، ص ١٥٧.
 - (٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٣.
 - (٩) خندان: معناها الضاحك. البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٥٣.
 - (١٠) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٥٤.
 - (١١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٤٠: ٤١.

خراسان «سوباشى»^(١)، وأمره بالخروج لملاقاة السلاجقة، فسار مع جيش كامل الأهمية كثير العدد والآلات^(٢)، ودارت معركة كبيرة عند مدينة سرخس^(٣)، انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة، وبهذا الانتصار اشتدت جرأتهم وعظمت شوكتهم وانتشروا فى خراسان^(٤).

-
- (١) سوباشى: لفظ أيجورى معناه قائد الجيش. فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية (١)، ص ١٣٣.
(٢) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٥٩٠.
(٣) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة بين نيسابور ومرو. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ج ٥، ص ٣٧.
(٤) الرواندى: راحة الصدور، ص ١٥٨.